رد موحّد حول النساء والاستفتاء

وضع هذا الردّ الموحد استنادًا إلى الأبحاث التي أجراها فريق شبكة المعرفة الدولية للنساء الناشطات في السياسة (iKNOW Politics) والمساهمات التي قدّمتها الخبيرات والمشاركات الفاعلات في الشبكة: السيدة لوسيان روبيار وهي نائب ووزيرة على مستوى مقاطعة كيبيك وعلى المستوى الوطني في البرلمان الكندي، والسيدة جوليا براثرز وهي موظفة برنامج أقدم متخصصة في الانتخابات والعملية السياسية في المعهد الديمقراطي الوطني (NDI)، والسيدة ستيفاني لين وهي مديرة البرنامج الكبرى المقيمة في المعهد الديمقراطي الوطني في ماليزيا وبورما، والدكتور موها إناجي وهي أستاذة دراسات الألسنية والثقافة والجنسانية.

السؤال:

أودّ أن يشاركنا أعضاء الشبكة الكرام تجارب الاستفتاء من البلدان الأخرى. أولاً، ما هي المسائل المتعلقة بالنوع الاجتماعي (الجندر) التي برزت وكيف تمّت معالجتها؟ ثانيًا، ما الدروس التي يمكن استخلاصها من هذه العمليات؟

غرايس أشيانغ أوكونجي، جنوب السودان

المقدّمة

يسلّط هذا الرد الموحّد الضوء على الدور الأساسي الذي تضطلع به المرأة في حملات الاستفتاء. ويناقش أهمية مشاركة المرأة في الاستفتاء بشكلٍ فاعل ومراعاة الحواجز المحتملة التي قد تعترض مشاركتها بخاصةٍ في بيئة ما بعد النزاع. يقدّم الرد الموحّد أمثلة عن بلدان خاضت تجربة الاستفتاء ويتطرّق بالتفاصيل إلى كيفية معالجة المسائل المرتبطة بالنوع الاجتماعي (الجندر) وبالمرأة في كلّ من هذه الحالات.

الاستفتاء – تعريفه وسياقه

إن الاستفتاء هو تصويت عام يدلي خلاله الناخبون بأصواتهم للقبول باقتراح محدد أو لرفضه. تشير السيدة جوليا براثرز، وهي تعمل ككبير مسئولي برامج في برنامج الانتخابات والعملية السياسية في المعهد الديمقراطي الوطني (NDI)، إلى أن الاستفتاء قد يطرح فرصًا وتحديات لسكان البلد وبخاصة النساء. وتوضح شارحةً أن الاستفتاء يختلف عن الانتخابات العادية حيث يختار الناخب من يريده من بين مجموعة واسعة من المرشحين:

***"يسمح الاستفتاء إلى الناخب بأن يعبر عن خياره بشأن مسألة تشريعية مباشرة كاستقلال البلد أو اعتماد الدستور أو أي قانون أو تعديلهما، ما يتطلب في معظم الأحيان تلخيص مسألة معقدة جدًا في سؤال بسيط يقتصر الجواب عليه على "نعم" أو "لا"*. (ج. براثرز، رأي الخبراء. 2010).**

غالبًا ما ينظم الاستفتاء في ظلّ الأزمات، فتؤدي عندها المرأة دورًا أساسيًا في الدفع بهذه العملية قدمًا. تشير السيدة ستيفاني لين وهي كبيرة مديري البرامج في المعهد الديمقراطي الوطني في ماليزيا وبورما، إلى الاستفتاء الذي ينظم في ظل النزاع أو في مرحلة ما بعد النزاع مباشرةً عندما يكون إنهاء العنف من أهداف المرأة بشكلٍ خاص. وقد يكون الرجال في المخبأ أو وراء القضبان أو قد فارقوا الحياة أي خارج العملية السياسية يوم الانتخابات. (س. لين، رأي الخبراء. 2010)

من الأمثلة على دور المرأة في الاستفتاء للوقاية من النزاعات، نذكر ما يجري في عملية وضع مسودة الدستور في كينيا. تقول السيدة براثرز:

"يدور اليوم في كينيا نقاشٌ علني معمّق لوضع دستور جديد سيتم اعتماده عن طريق الاستفتاء. ومن التعديلات المقترحة أن يتضمن الدستور أحكامًا تقضي بأن ترشح الأحزاب السياسية النساء في الجمعيات الإقليمية. وقد انضمت النساء البرلمانيات إلى النقاش بشأن هذا التعديل، فيعارض بعضهن هذا التعديل ولا يعتبرنه خطوة إيجابية لتعزيز مشاركة المرأة بل فرصةً لتعزيز المحسوبية على المستوى الإثني أو الإقليمي.ولقد اعترف قرار الأمم المتحدة رقم 1325 حول المرأة والسلام والأمن (سنة 2000) بدور المرأة الأساسي في مجالات السلام والأمن والتنمية، ما تجسّد بشكلٍ خاص في بعثات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة حيث تؤدي النساء المدنيات والعسكريات دورًا مهمًا في الوقاية من النزاع وتعزيز السلام وتقديم المعونة في إعادة الإعمار ما بعد النزاع."

من جهةٍ أخرى، يضرب الدكتور موها إناجي وهي أستاذة دراسات الألسنية والثقافة والنوع الاجتماعي مثالاً على مبادرة نسائية للسلام في جنوب آسيا (كمبوديا وفييتنام) التي جمعت بشكل عفوي الرجال والنساء على حدٍ سواء دفاعًا عن قضية السلام واللاعنف (م. إناجي، رأي الخبراء. 2010)

النساء والاستفتاء

سبق أن شرحت السيدة براثرز أن الاستفتاء غالبًا ما يتناول مسائل متخصصة بالغة الأهمية حتى يُطلب من المواطنين أن يتخذوا القرار بشأنها مباشرةً. وعادةً ما ترتبط هذه المسائل بحقوق المواطنين الأساسية أو مصير البلد بشكلٍ عام، وهي مسائل تترك أثرًا محتمًا على النساء. لذلك، من المهم أن تشارك ممثلات عن النساء في عملية اتخاذ القرار بشأن محتوى الاستفتاء (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)

ومن المهم أيضًا أن تشارك النساء المنتخبات وقائدات المجتمع ومجموعات المجتمع المدني في عملية الاستفتاء للحرص على تمثيل المجتمع بأسره، بخاصة إذا ما كان الاستفتاء ينظّم بشأن دستور جديد أو تعديل دستوري قد يتضمن بنودًا أساسية تؤثر على المرأة أو يغفلها.

"*يجب أن تشارك النساء المنتخبات والقائدات ومجموعات المصالح النسائية في هذه العملية إن كان الاستفتاء ينظّم بمبادرة من المسؤولين المنتخبين أو بطلب من المجتمع المدني، لكي تقدم النساء مساهماتهن في المسألة المطروحة ويتعزز فهمهن لتأثيرها على المرأة.*" (ج. براثرز. رأي الخبراء 2010)

شؤون النوع الاجتماعي (الجندر) في الاستفتاء

1. تثقيف الناخبين

قد تعترض مشاركة المرأة في حملات الاستفتاء حواجز عدّة، لا سيّما في الدول النامية. في بعض البلدان النامية، يحظى الرجال والفتيان بالأفضلية على النساء والفتيات في الحصول على التعليم، ما

يترك أثرًا مباشرًا على تدني معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة عند النساء ويطرح الحواجز أمام مشاركتهن الفاعلة في السياسة والحياة العامة. (ردّ موحّد حول العمل مع المرشحات والناخبات في خلال الإنتخابات، 2009. ص. 2)

تشير السيدة براثرز إلى أهمية تثقيف الناخبين للحرص على إنصاف عملية الاستفتاء ومصداقيتها. على سبيل المثال، لا يحصل الناخبون دومًا على المعلومات الملائمة لاتخاذ القرارات المستنيرة بشأن الموضوع المطروح، بل قد يتخذوا القرارات بناءً على معرفة مجتزأة أو معلومات خاطئة. لذلك تتزايد أهمية تثقيف الناخبين في البلدان التي يفتقرون فيها إلى الخبرة الإنتخابية أو التي تسجّل ارتفاعًا في معدلات الأمية أو التي تفتقر إلى البنى التحتية الملائمة لتبادل المعلومات. ولا بد من بذل جهود خاصة لتثقيف الناخبات حول موضوع الاستفتاء وتأثيره على النساء إذ أن النساء غالبًا ما تؤثر عليهن الأمية بشكل غير متكافئ وقد يكنّ أقل تعرضًا للإعلام. (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)

تشدّد السيدة براثرز بشكلٍ خاص على أهمية تثقيف الناخبين قبل أي استفتاء دستوري إذ قد تؤدي مسائل عامة تثير اهتمام المواطنين على غرار نظام الإنتخاب، إلى حجب مسائل أخرى تؤثر على النساء بشكلٍ مباشر. كما يجب أن يراجع متخصص في مسائل النوع الاجتماعي (الجندر) القوانين أو البنود في الدستور كلّها، إن كانت تبدو مرتبطةً بالنساء بشكلٍ مباشر أول ا، لتحليل تأثيرها المحتمل على النساء. يمكن توجيه جهود تثقيف الناخبين بشكلٍ خاص لإعلام النساء عن بنود الدستور المحددة التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر عليهن. ويمكن أن تكون المنظمات النسائية مصادر تقدّم المعلومات المتخصصة والمحايدة للنساء في كل أنحاء البلد (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)

على سبيل المثال، تتحدث السيدة براثرز عن الاستفتاء على الدستور في كينيا الذي جرى في العام 2005.

لم تبذل في الاستفتاء في العام 2005 سوى جهود محايدة قليلة لتثقيف الناخبين إذ كانت منظمات أساسية من المجتمع المدني تشنّ حملة فاعلة لدعم الدستور الجديد أو لإسقاطه. بقيت الأمية، لا سيما بين النساء، تحديًا مستمرًا بين الناخبين – حتى أن أوراق الاقتراع تضمنت رموزًا ومنها صورة الموزة للإشارة إلى "نعم" وصورة البرتقال للإشارة إلى "لا". في خلال الفترة التي سبقت

الاستفتاء، بذلت منظمات نسائية عدّة ومنها صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة جهودًا لتثقيف الناخبين من خلال المنتديات العامة لتثقيف الناخبات. أتاحت هذه الإجتماعات الفرصة للنساء لمناقشة تفاصيل الدستور المقترح والتعبير عن آرائهن في بيئة آمنة. **" (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)**

2. إشراك النساء في حملات الاستفتاء

تقول النائبة السابق في كندا والوزيرة في الحكومة الوطنية والعضوة في برلمان مقاطعة كيبيك السيدة لوسيان روبيار، وكانت من المنظمين الأساسيين لحملة "لا" في خلال استفتاء سنة 1995 على استقلال كيبيك، إنه من الأساسي إشراك النساء في حملات الاستفتاء. وتؤكد أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال تعيين النساء في مناصب الناطق باسم الحملة وإشراك الجمعيات النسائية والمجموعات الإجتماعية وتنظيم التجمعات للنساء بشكلٍ خاص وتشجيع النساء على التفكير بشأن مستقبل بلدانهم من أجلهن ومن أجل أطفالهن. (ل. روبيار. رأي الخبراء. 2010)

تشدد ستيفاني لين على ضرورة تنظيم الحملات التي تتطرّق بوضوح إلى مكاسب الاستفتاء للنساء، ما يساعد على زيادة مشاركتهن. (س. لين. رأي الخبراء. 2010)

تؤكد جوليا براثرز على أن الحملات التي تسبق أي استفتاء قد تتضمن نقاشًا حيويًا بين مؤيدي الطرفين كما في أي انتخابات أخرى. وقد لا تتماشى المنافسة السياسية في الاستفتاء مع الاختلافات الحزبية التقليدية وبالفعل قد تكشف النقاب عن فرص جديدة لمشاركة النساء خارج الهيكليات الحزبية:

"*غالبًا ما تؤدي منظمات المجتمع المدني والقادة السياسيون الجدد دورًا أساسيًا في الاستفتاء إلى جانب الأحزاب السياسية والنخب الحزبية. بإمكان النساء لا بل من واجبهن الإضطلاع بدور فاعل في النقاش والحملة الإنتخابية التي تسبق الانتخابات.*" (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)

تضرب السيدة براثرز مثال الاستفتاء على استقلال مونتينيغرو في العام 2006:

"على الرغم من أن النساء لم يؤدين دورًا قياديًا بارزًا، إلا أنهن شاركن خير مشاركة في في الاستفتاء على استقلال مونتينيغرو في صفوف الطرفين. شاركت النساء في التماس الأصوات من خلال طرق الأبواب بشكل واسع وشاركن في أشكال أخرى من الحملات لحصد الدعم لمواقفهن من الاستفتاء." **(ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)**

3. صياغة سؤال الاستفتاء

تشرح السيدة براثرز أن معظم المواطنين لن يتمكنوا من مراجعة الوثائق المرتبطة بالاستفتاء كلها، لذلك يعدّ تأطير موضوع الاستفتاء، وبخاصة السؤال المطروح على الناخبين على ورقة الإقتراع بالغ الأهمية. غالبًا ما يطرح الإستفتاء على المواطنين سؤالاً واحدًا أو مجموعة من الأسئلة تمثل مسألة معقّدة أو مجموعة من القوانين ليصوتوا مع أو ضد:

لذلك، من الأساسي أن يكتب سؤال الاستفتاء بلغة واضحة ومقتضبة تكون محايدة ويسهل على المواطنين فهمها. كما في وضع موضوع الاستفتاء، يجب أن تشارك مختلف المجموعات ومنها النساء في تأطير الموضوع وصياغة السؤال. قد تساعد المساهمات المتنوعة من المسؤولين المنتخبين ومنظمات المجتمع المدني على صياغة السؤال بطريقة محايدة لا تسيء طرح المسألة" **(ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)**

4. توقيت التصويت والتأثير على نسبة المشاركة

تشير السيدة براثرز إلى أنه يمكن تنظيم الاستفتاء بالتزامن مع تصويت آخر (مثل انتخابات عادية عامة) أو بشكلٍ منفصل. قد يساهم تنظيم الاستفتاء إلى جانب انتخابات تجري بموعدها في زيادة نسبة المشاركة من خلال التخفيف من العبء على كاهل الناخبين. وقد يكون هذا بالغ الأهمية للمرأة التي قد يصعب عليها أن تترك مسؤولياتها في المنزل أو في مكان العمل لتصوّت في أكثر من مناسبة. من جهةٍ أخرى، إذا ما كان موضوع الاستفتاء مهمًا بشكل خاص ويستحق أن يوليه الناخبون والقادة السياسيون انتباهًا مركزًا، قد يكون من المهم تنظيمه بشكلٍ منفصل. (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)

5. مراقبة الاستفتاء

كما في أي عملية إنتخابية أو سياسية أخرى، تذكر السيدة براثز أنه يجب أن تراقب المنظمات المحلية الاستفتاء أي تراقب وضع الموضوع وصياغته وحملة الاستفتاء ومنها استغلال موارد الدولة وإجراءات التصويت وتنفيذ نتائج الاستفتاء. قد تؤدي النساء دورًا أساسيًا كمراقبات فيولين انتباهًا خاصًا لإشراك النساء في عملية الصياغة وتوعية الناخبين وتثقيفهم وبخاصة النساء، وتصويت النساء، ولجمعيها تأثير مهم على العملية ككل. (ج. براثرز. رأي الخبراء. 2010)

الخاتمة

يعتبر دور النساء ومشاركتهن الفاعلة في الاستفتاء الوطني عاملين أساسيين لكي يكون لشؤون المرأة وشجونها تأثيرًا على المسائل الأساسية المرتبطة بتنظيم الدولة (الدستور والإستقلال وغيرها). يوصي الخبراء بأن تشرك الجهات الفاعلة في حملات الاستفتاء النساء في هذه العملية من خلال تثقيف الناخبين وتوعيتهم، ومن خلال إشراك المنظمات النسائية في المجتمع المدني. كما يوصي الخبراء بتأطير أسئلة الاستفتاء بوضوح وبأن يأخذ توقيت الإستفتاء المسائل الأساسية التي تواجهها النساء في عين الاعتبار (الأمن والتنقل والمسؤوليات في المنزل وغيرها). كما من المهم جدًا إشراك المرأة في إدارة مراكز الاقتراع وعملية الاستفتاء نفسها.

المراجع

- **شبكة المعرفة الدولية للنساء الناشطات في السياسة. ردّ موحّد حول العمل مع المرشحات والناخبات في الانتخابات،** 2008. http://www.iknowpolitics.org/node/6490

- **شبكة المعرفة الدولية للنساء الناشطات في السياسة. ردّ موحّد حول تدريب النساء كاستراتيجية لتمكينهن في السياسة في أميركا اللاتينية،** 2009. http://www.iknowpolitics.org/node/10393

- **تعريف الاستفتاء:** http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%AA%D8%A7%D8%A1_%D8%B9%D8%A7%D9%85

- **الاستفتاء على استقلال مونتينيغرو:** http://en.wikipedia.org/wiki/Montenegrin_independence_referendum,_2006

- **الاستفتاء على دستور كينيا،** 2005: http://en.wikipedia.org/wiki/Kenyan_constitutional_referendum,_2005

- **رأي الخبراء: الأمثلة والممارسات الفضلى في مجال تعميم مراعاة المنظور الجنساني في التشريعات الاجتماعية والاقتصادية في الأميركيتين:** http://www.iknowpolitics.org/node/8752

- **الدستور والاصلاحات القانونية:** http://www.iknowpolitics.org/node/268

- **كوستاريكا: مقابلة مع السيدة "إيسي كامبل"، رئيسة حزب حركة المواطنين** (Acción Ciudadana) **في كوستاريكا:** http://www.iknowpolitics.org/node/3840